وقفات عامة مع التعليم الجامعي في عسير وما حولها كما عاصرته وعرفته

(١٣٩٦ – ١٤٤١ هـ / ١٩٧٦ – ٢٠٢٠ م) (*)

أ. د . غيثان بن علي بن جريس

(*) دراسة منشورة في كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب، لغيثان بن جريس، (الجزء الثامن عشر) (الطبعة الأولى) (الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م)، ص ص ١٨١ - ١٩٣ .

ثانياً : التعليم العالي في منطقة عسير في عيون بعض المعاصرين والمسؤولين (١٣٩٦-١٤٤١هـ/١٩٧٦-٢٠٢٠م) (الجزء الأول)

١- وقفات عامة مع التعليم الجامعي في عسير وما حولها كما عاصرته وعرفته (١٣٩٦-١٤٤١هـ/ ١٩٧٦-٢٠٢٠م) . بقلم . أ . د. غيثان بن علي بن جريس.

م	الموضوع	الصفحة
أولاً :	مدخل	١٨١
ثانياً :	بدايات التعليم الجامعي في عسير (١٣٩٦- ١٤٠٠ هـ)	١٨٢
ثالثاً :	تطور التعليم الجامعي في عسير وما حولها وأثره على المجتمع (١٤٠١-١٤١٩هـ/١٩٨١-١٩٩٨م)	١٨٤
رابعاً :	نشأة جامعة الملك خالد وتطورها	١٨٨
خامساً :	خلاصة القول	١٩٣

أولاً : مدخل :

إن منطقة عسير جزء من جنوب المملكة العربية السعودية ذات كثافة بشرية عالية، وتنوع واضح في تضاريسها ، ومناخها ، ومواردها الطبيعية . والبحث في تاريخها السياسي والإداري والحضاري عبر عصور التاريخ يحتاج إلى عشرات الأسفار [١] ، وما يعنينا في هذه الورقات هو التعليم الذي من خلاله تتطور المجتمعات وتتقدم ، وأخص بذلك التعليم العالي . فالبلدان التهامية والسروية عرفت تعليم الكتاتيب خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة . أما التعليم النظامي العام فلم يبدأ إلا منذ بدايات الخمسينيات في القرن الهجري الماضي [٢] ، وفي أواخر التسعينيات من القرن نفسه بدأ التعليم الجامعي في مدينة أبها ، ثم اتسعت رقعته حتى شمل جميع أجزاء المناطق الجنوبية السعودية[٣] .

---

(١) نعم بلاد تهامة والسراة الممتدة من نجران وجازان إلى مكة والطائف جديرة بالعديد من البحوث العلمية الموثقة . للمزيد انظر بعض دراساتنا عن هذه المنطقة خلال الأربعين عاما الماضية وهي مطبوعة ورقياً وإلكترونياً على الرابط الآتي : (Prof-ghithan.com) .

(٢) تاريخ التعليم (الكتاتيب) ، أو الحكومي في مناطق جنوب المملكة العربية السعودية مازال بحاجة إلى من يجمع مصادره ووثائقه ويدرسه في دراسات علمية توثيقية وتحليلية .

(٣) هذا المجال الخاص بالتعليم العالي يستحق دراسات أعمق وأطول وأدق . ونأمل من أساتذة جامعات الجنوب السعودي أن يلتفتوا لهذا الميدان فيدرس دراسة علمية وتوثيقية .

ثانياً: بدايات التعليم الجامعي في منطقة عسير (١٣٩٦-١٤٠٠هـ).

بدأ التعليم العالي في أبها عام (١٣٩٧/٩٦هـ/١٩٧٦م)، فافتتحت جامعتي الملك سعود والإمام محمد بن سعود كليتين هما: كلية التربية من جامعة الملك سعود. وكلية الشريعة واللغة العربية من جامعة الإمام، وكانت هاتين الكليتين تشتملان على عدد من التخصصات العلمية والنظرية، مثل: الرياضيات، والأحياء، والكيمياء، والفيزياء، والشريعة واللغة العربية التي يدرس من خلالها القرآن وتفسيره، والسنة، والفقه، والتوحيد، والأدب، والنحو، والنقد والبلاغة. وأقسام أخرى كالتاريخ، والجغرافيا، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، واللغة الإنجليزية [١].

بدأ التعليم الجامعي في أبها وما جاورها متواضعاً خلال السنوات الخمس الأولى، فأعداد الطلاب قليلة، وجميعهم من مناطق الجنوب السعودي وبخاصة من جازان، ونجران، وعسير، وبعض الأجزاء التهامية الممتدة من الدرب والشقيق إلى البرك والقنفذة، وهناك طلاب قليلون من منطقة الباحة تهامة وسراة[٢]. وكانت الإمكانات المادية والمالية قليلة. فالطلاب الذين جاءوا من أماكن بعيدة سكنوا في الإسكان الجامعي في عمارة الراجحي وسط مدينة أبها، أو عمارة سعيد بن مشبب بين أبها والخمس، القريبة من طريق مطار أبها حالياً [٣]. أما أعضاء هيئة التدريس فكانوا من بلدان عربية وإسلامية وأجنبية، والعنصر السعودي غير موجود على الإطلاق إلا من عمداء الكليات، الذين كان بعضهم على درجة الدكتوراه، وآخرين على درجة الماجستير. والموظفون الإداريون والفنيون خليط من السعوديين وغير السعوديين[٤]. وكانت الأجهزة

---

(١) أدون هذه المعلومات كوني احد الطلاب المعاصرين لبدايات التعليم الجامعي في أبها (١٣٩٧.٩٦هـ/١٩٧٦م). وكانت بعض الأقسام النظرية كالتاريخ، والجغرافيا، وعلم النفس، واللغة الإنجليزية أقساماً مستقلة في كلية التربية. ومواد تدرس فقط في كلية الشريعة واللغة العربية. حبذا أن نرى طالباً جاداً يدرس تاريخ التعليم العالي في عسير خلال الخمس سنوات الأولى (١٣٩٦-١٤٠١هـ/١٩٧٦-١٩٨١م) فهو موضوع جديد في بابه.

(٢) عاصر الباحث هذه الفترة وبدأ دراسته في كلية الشريعة واللغة العربية عام (١٣٩٧/٩٦هـ/١٩٧٦م)، ثم انتقل في العام نفسه إلى كلية التربية فعرف معظم الطلاب الذين بدأوا الدارسة في الكليتين عند النشأة، وكانوا جميعهم من المناطق المذكورة أعلاه، مع أن عددهم في الكليتين عند التأسيس يقدرون فقط بالعشرات.

(٣) هاتان العمارتان مازالتا ماثلتين للعيان، وبقيتا أكثر من عشرين سنة مستخدمتين من قبل مؤسسات التعليم العالي في عسير، وبخاصة عمارة سعيد بن مشبب التي كانت تابعة لكلية التربية (بنين) سكناً ودراسة عند النشأة، وبعد حوالي ثمان سنوات صارت مقراً لكلية التربية (بنات) واستمرت كذلك حتى ضم كليات البنات إلى جامعة الملك خالد عام (١٤٢٨هـ /٢٠٠٧م).

(٤) كان الأستاذ عبدالله المصلح، وفهيد السبيعي من يتوليان عمادة ووكالة كلية الشريعة واللغة العربية،

والأدوات التعليمية محدودة وقليلة مثل المختبرات في كلية التربية ، ومطاعم الطلاب في الكليتين ، والمكتبات هي الأخرى صغيرة ومحدودة في محتوياتها. أو وسائل المواصلات قليلة فلم يكن هناك إلا أتوبيس واحد لكل كلية يقوم بنقل الطلاب من الإسكان إلى أماكن دراستهم [١] .

استمر طلاب الدفعة الأولى دراستهم في الكليتين وتخرجوا عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م). وكوني أحد طلاب الدفعة الأولى ، ودرست في الكليتين ، ثم تخرجت في كلية التربية قسم التاريخ ، وتعينت في العام نفسه معيداً في القسم ، وواصلت رحلتي مع دراسة التاريخ والحضارة الإسلامية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها ، فإنني أذكر بعض الانطباعات والنتائج التي رسمتها تلك السنوات الأربعة لمسيرة التعليم العالي في عسير وما حولها ، وهي على النحو الآتي :

١. إنشاء كليات جامعية في مدينة أبها في نهاية القرن الهجري الماضي كانت فتحاً كبيراً على مناطق جنوب المملكة العربية السعودية أرضاً وسكاناً . فصارت هذه الكليات روافد كبيرة لدعم الفكر والعلم والثقافة على المستويين الأهلي والرسمي .

٢. تأسيس هذه الكليات الجامعية وفرت على الكثير من أبناء المناطق الجنوبية الجهد والمال والغربة، فكانوا سابقاً يذهبون إلى المدن الكبرى في البلاد حتى يواصلوا تعليمهم الجامعي ، ناهيك على ما يواجهون من متاعب مادية ، وجسدية ، ومعنوية . وبعض الطلاب الذين قدموا من جازان ، أو نجران ، أو القنفذة ، أوالباحة للدراسة في هذه الكليات كانت معاناتهم أقل من الطلاب الذين يسافرون إلى جدة ، أو الرياض ، أو الدمام للهدف نفسه .

٣. إن فتح مؤسسات تعليمية عالية في عسير رفعت نسبة الوعي عند الناس في ثقافتهم ، من خلال الحراك المعرفي والعلمي والوظيفي . فالطلاب ينقلون

والكادر البشري معهما من المتعاقدين وبعض الموظفين السعوديين وعددهم آنذاك محدود . والدكتور مزيد إبراهيم المزيد عميداً لكلية التربية وجميع أعضاء هيئة التدريس في الكلية من غير السعوديين . ومعظم الأقسام الموجودة في هذه الكلية علمية بالإضافة إلى أقسام الجغرافيا ، والتاريخ ، وعلم النفس . أما الموظفون الإداريون فهم قليل جداً وجميعهم من السعوديين ماعدا بعض النساخين وهم ثلاثة مصريين .

(١) كان طلاب كلية التربية يدرسون ويسكنون في عمارة سعيد بن مشبب لبضع سنوات ، ثم خصص المبنى للدراسة وتم نقل سكن الطلاب إلى داخل مدينة أبها . أما طلاب كلية الشريعة واللغة العربية فسكنوا في عمارة الراجحي ، وبداية دراستهم في المدرسة السعودية لسنوات عديدة ، تم نقل مكان الدراسة إلى عمائر مستأجرة على طريق الطائف شمال المدينة .

تجاربهم وخبراتهم من داخل الكلية إلى أسرهم ، وقراهم ، ومدنهم ، ومجتمعاتهم [١] . وأعضاء هيئة التدريس في كل كلية يلتقون بجميع طبقات المجتمع والمؤسسات الأهلية والحكومية فيؤثرون ويتأثرون . واذكر ما لكلية الشريعة واللغة العربية من آثار إيجابية من خلال المحاضرات والندوات واللقاءات التي تقدمها في النادي الأدبي بأبها ، أو في المساجد ، أو المخيمات الصيفية والدعوية والإرشادية ومعسكرات الجوالة وغيرها [٢] .

ثالثاً : تطور التعليم الجامعي في عسير وما حولها وأثره على المجتمع (١٤٠١-١٤١٩هـ/ ١٩٨١-١٩٩٨م).

تم بعد إنشاء فرعي جامعة الإمام والملك سعود في أبها ، قيام كلية متوسطة للبنين في أبها عام (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) ، وتتبع إدارياً لوزارة المعارف . وهذه الكلية تمنح درجة الدبلوم في بعض التخصصات العلمية والنظرية ، والطالب المتخرج في هذه الكية يحصل مباشرة على وظيفة في مهنة التدريس [٣] . وبعد عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) أنشأت الرئاسة العامة لتعليم البنات كلية التربية للبنات في أبها ، وبدأت في حي الخالدية قريباً من عمائر النادي الأدبي . وهذه الكلية تشتمل على العديد من التخصصات العلمية والأدبية ، ومديرها آنذاك الأستاذ محمد الأحمد ، وجميع عضوات هيئة التدريس فيها

---

(١) هذا ما شاهدته وعاصرته فكان طلاب الكليات يقومون بزيارات إلى بعض المؤسسات الأهلية والإدارية ، بل في السنة الأخيرة من كل تخصص يجب على كل طالب أن يتدرب لمدة أربعة شهور في مدرسة أو مؤسسة أو إدارة لها علاقة بتخصصه. وعندما يعود الطلاب إلى قراهم وأسرهم في الإجازات فإنهم ينقلون أخبارهم وتجاربهم إلى بني جلدتهم من الإخوان والأخوات وأفراد المجتمع نساءً ورجالاً .

(٢) عرفت وعاصرت أنشطة كثيرة لأنني عاصرتها ، وشاهدت بعضها في كليتي الشريعة واللغة العربية ، والتربية . وأشرت إلى كلية الشريعة لأن لها جهوداً كبيرة في هذا الميدان في جميع أنحاء منطقة عسير ، بل إن أساتذتها وطلابها كانوا يذهبون للمشاركة في مناشط أخرى كثيرة داخل المملكة العربية السعودية وخارجها . وكان الشيخ عبدالله المصلح هو المحرك والقائد لكل تلك الأنشطة المعرفية ، والدعوية والثقافية. وقد سمعته في مجالس اجتماعية عديدة يذكر الكثير من تلك الجهود الجيدة والمثمرة، وطلبت منه مرات عديدة أن يدون لنا تجاربه وخبراته في هذا الجانب وبخاصة ما يتعلق بجهود فرع جامعة الإمام التعليمية في الجنوب ، لكنه اعتذر ورفض أن يوافينا بهذا المطلب . وكان العاملون معه ، وفي كلية التربية لهم جهود كبيرة في بناء الإنسان في عموم جنوب المملكة العربية السعودية ثقافياً وتربوياً وتعليمياً ، ومازلت أنادي في الباحثين وطلاب الدراسات العليا أن يوثقوا تاريخ السنوات الأولى من نشأة وتطور التعليم الجامعي في عسير وما جاورها من مناطق المملكة العربية السعودية .

(٣) تطورت الكلية المتوسطة للبنين فيما بعد حتى أصبح الخريج فيها يحصل على درجة البكالوريوس ، وتبدل اسمها إلى كلية المعلمين ، وبقيت تؤدي رسالتها التعليمية تحت مظلة وزارة المعارف، ثم التربية والتعليم ، ثم صدور قرار ضم جميع كليات المعلمين في المملكة إلى الجامعات عام (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) .

من بلدان عربية وإسلامية ، ومعظمهن من الجنسية المصرية [١].

استمر فرعي جامعة الإمام والملك سعود يؤديان رسالتهما الجامعية في عسير وعموم المنطقة الجنوبية، ففصلت كلية الشريعة واللغة العربية ، إلى كليتين مستقلتين هما : كلية الشريعة وأصول الدين ، وكلية اللغة العربية ، وهذه الكلية الأخيرة تغير اسمها فيما بعد إلى اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية). وبقيت كلية التربية على نفس المسمى ، مع أنه جرى على خططها الدراسية بعض التعديلات التي تصب في خدمة المسيرة التعليمية [٢]. وسعت جامعة الملك سعود عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م) إلى فتح كلية الطب مع كلية التربية . وبقيت هذه الكليات الأربع تشرف على مسيرة التعليم الجامعي في عسير وعموم مناطق الجنوب السعودي ، ومدينة أبها هي العاصمة الإدارية والتعليمية التي توجد فيها هذه الكليات[٣] . وكوني واحدا من طلاب ثم أساتذة هذين الفرعين من(١٣٩٧/٩٦هـ-١٤١٩هـ/ ١٩٧-١٩٩٨م) ، فإن عندي الكثير من الانطباعات والمشاهدات في مجال التعليم العالي في عسير وما جاورها خلال تلك الثلاثة وعشرين سنة نذكر أهمها في النقاط الآتية :

١. نحن طلاب الجنوب السعودي درسنا مراحل التعليم العامة في قرانا ومواطننا الرئيسية ، ولم يكن عندنا ثقافة أو وعي كبير بالمجتمعات من حولنا ، وكان كل طالب لا يعرف إلا مدرسته وقريته وربما قرية أو قريتين مجاورتين لموطنه ، وإذا كان هناك بعض وسائل الإعلام والثقافة مثل الراديو ، والرائي (التلفاز) أبيض وأسود ، وربما بعض الكتب والصحف عند الأعيان والوجهاء ، وربما

(١) بدأت الدراسة بهذه الكلية في عمائر حكومية في حي الخالدية ، وهذه الأبنية تتكون من عدة طوابق . وبقيت على هذا المنوال عدة سنوات ، وعند تزايد الطالبات خصصت هذه العمارة للأقسام العلمية ، وانتقلت الأقسام الأدبية إلى عمائر سعيد بن مشبب على طريق أبها الخميس ، التي بدأت فيها كلية التربية للبنين عام (١٣٩٧-٩٦هـ/١٩٧٦م). واستمرت هذه الكلية تتبع إدارياً وماليا لرئاسة تعليم البنات ، وفي عام (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م) تم ضمها وهيكلتها تحت مظلة جامعة الملك خالد . وصارت عمائرها في الخالدية مشغولة بمدرسة ابتدائية حكومية . أما عمائر ابن مشبب فمازالت مهجورة وغير مستخدمة بعد نقل الطالبات منها إلى عمائر حكومية على طريق الملك عبدالله . وأقول إن التعليم العام والعالي للبنات في عسير لم يخدم إطلاقاً في ميدان الدراسة والتوثيق وآمل من طالباتنا في الدارسات العليا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد أن يقمن بدراسة هذا الميدان وتوثيقه.

(٢) عاصر الباحث الدراسة في الكليات الأربع ، واشترك في عدد من اللجان التي درست الخطط الدراسية في كلية التربية ، كما عاصر بعض الندوات والمحاضرات التي لها علاقة بمسيرة التعليم العالي في عسير (١٤٠٧-١٤١٩هـ/١٩٨٧-١٩٩٨م).

(٣) نعم أبها مدينة تاريخية في العصر الحديث وتستحق أن يصدر عنها دراسة علمية مطولة ترصد مسيرتها السياسية والحضارية خلال القرون الهجرية الثلاثة الماضية .

الأساتذة المتعاقدين الذين جاءوا من بلاد الشام ، ومصر ، والسودان وغيرها. وهذه الوسائل لا توجد عند كل الأسر والأفراد ، وغالباً تكون عند الأثرياء والمقتدرين مادياً أو ذا وجاهة ومراكز اجتماعية أو إدارية في أنحاء منطقة عسير وما جاورها[١]. وبعد انتهاء الطلاب من الثانوية العامة في أوطانهم الأصلية يذهبون إلى المدن الكبيرة لتحسين أحوالهم الوظيفية ، أو المعيشية، أو التعليمية ، وقبل عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) لا يسافرون إلى أبها وخميس مشيط لتدني أوضاعها التنموية ، وإنما يذهبون إلى مدن المملكة الكبرى في مناطق الحجاز ، والشرقية، والوسطى [٢]. وعند افتتاح مؤسسات تعليمية عالية في أبها بدأ الناس وبخاصة طلاب الثانوية العامة يذهبون إلى هذه الكليات الحديثة ، وتزايدت أعدادهم . وبعد عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ، صارت أبها قبلة لبعض طالبات المنطقة الجنوبية اللاتي التحقن بكلية التربية مثل إخوانهن من الطلاب الذين سبقوهم في سلك التعليم العالي في هذه الناحية[٣].

٢. لم يأت عام (١٤١٩هـ/١٩٩٨م) إلا وكليات التعليم العالي (بنين وبنات) في حاضرة أبها قد خرجت عشرات الآلاف من الطالبات ولطلاب الذين انخرطوا في وظائف حكومية كثيرة في أنحاء البلاد السعودية ، ومعظمهم اشتغلوا في قطاع التعليم العام ، وقليل منهم ، وبخاصة المتميزون علمياً ، واصلوا دراساتهم العليا حتى حصلوا على درجات تعليمية عالية . والناظر في جميع مدارس مراحل التعليم العام في عسير، وجازان ، ونجران ، والقنفذة ، والباحة ، والطائف منذ عام (١٣٩٦-١٤١٩هـ/ ١٩٧٦-١٩٩٨م) يجد أن معظم القائمين على هذا الميدان المهم معلمات ومعلمون وافدون من بلدان عربية وإسلامية عديدة ، وأثناء استمرار تخرج الطالبات والطلاب السعوديين من كليات التعليم العالي في عسير بدأ إحلال الوطنيين بدل المتعاقدين ، ولم يأت

---

(١) عشت بداية حياتي في سروات بلاد بني عمرو وبني شهر ، وشاهدت تواضع الحياة الثقافية في هذه الأوطان من عام (١٣٨٤-١٤١٩هـ/١٩٦٤-١٩٩٨م) ، وقرأت وسمعت عن أحوال المناطق الأخرى في عموم السراة وتهامة في الفترة نفسها فكانت تعيش الوضع نفسه بل كانت أكثر الأجزاء في تهامة والبوادي والسروات في وضع سيء وضعيف تنموياً وحضارياً.

(٢) من يستقرئ تاريخ التنمية في المملكة العربية السعودية ، يجدها ضعيفة في عموم المملكة العربية السعودية حتى ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، ومن منتصف التسعينيات صارت تسري في عموم البلاد بشكل سريع وكبير ، حتى أصبحت في وضعها الذي نشاهده ونعيشه في وقتنا الحاضر (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) .

(٣) أكرر القول إن التعليم العام والعالي في مناطق جنوب المملكة العربية السعودية (١٣٥٠-١٤٤١هـ/١٩٣١-٢٠٢٠م) مجال كبير لم يخدم في باب الدراسة والتوثيق ، أرجو من الجامعات المحلية أن تشجع طلابها وأساتذتها لخدمة هذا الميدان المهم.

عام (١٤٢٠هـ/١٩٩٠م) إلا جميع المدارس الحكومية مشغولة بكوادر بشرية سعودية. ناهيك عن المؤسسات الإدارية الأخرى في السروات وتهامة فكانت هي الأخرى محدودة ومشغولة بطاقات بشرية وطنية ومتعاقدين ومع تكاثر الخريجين الجامعيين صاروا هم الذين يتولون زمام الأمور الإدارية والمالية في جميع القطاعات الحكومية والأهلية[١].

٣. بقيت الكليات الأربع التابعة لفرعي جامعة الملك سعود والإمام ، وكلية المعلمين للبنين ، وكلية التربية للبنات تعتمد بشكل كبير على أعضاء هيئة التدريس المتعاقدين (نساء ورجال) ، وقد سعت هذه الكليات إلى ترشيح أعداد محدودة من خريجيها لمواصلة دراساتهم العليا ، وعند عودتهم إلى العمل أصبح معظمهم في مراكز إدارية وقيادية ، أما ممارسة التدريس فمازال النصيب الأكبر يقوم به كوادر بشرية وافدة . وربما كلية التربية للبنات ، وكلية المعلمين وأيضاً كليات فرع جامعة الإمام كانت أفضل من كلية التربية والطب حيث شجعت بعض طالباتها وطلابها على مواصلة درجتي الماجستير والدكتوراه ثم عادوا للعمل في كلياتهم وأقسامهم . وأقول بشكل عام إن جميع تلك الكليات في عسير أو غيرها من مناطق جنوب المملكة لم تحرص على مساعدة وتوظيف طالباتها وطلابها بنسبة كبيرة حتى يواصلوا دراساتهم ثم يعودون أساتذة في كلياتهم ، ولا ننكر من بذل جهود محدودة وخجولة لكنهم لم يكونوا محفزين ومشجعين بشكل كبير لهذا الجانب [٢]. ومن ينظر اليوم في جميع أقسام جامعات الجنوب (جامعة الملك خالد ، وجازان ، ونجران، والباحة ، والطائف ، وبيشة) يجد أن نسبة السعوديين من أعضاء هيئة التدريس مازالت متدنية جداً ، وشاهدت في وقتنا الحاضر أقسام علمية أكاديمية في جامعة الملك خالد، وتاريخها تجاوز (٤٥) عاماً، ومعظم أساتذتها من بلدان عربية ، وأجنبية مختلفة ، والسعوديون في هذه الأقسام لا يتجاوزون (١-٣٪) من إجمالي أعضاء هيئة التدريس ، وإذا نظرنا إلى أقسام وكليات في جامعات محلية أخرى تأسست بعد جامعة الملك خالد ، فالسعودة فيها ضئيلة جداً وأحياناً غير موجودة [٣].

---

(١) هذا ما عرفته وعاصرته كوني عملت في مهنة التعليم الجامعي بمنطقة عسير منذ عام (١٤٠٠-١٤١٩هـ/١٩٨١-١٩٩٨م) .

(٢) لا ننكر أن جميع الكليات المذكورة أعلاه وظفت بعض المعيدين بالكليتين ، وكنت أحدهم ، لمواصلة دراساتهم والعودة للعمل في أقسامهم ، لكنهم كانوا مقصرين ومحدودين في هذا الباب . ومازالت الكليات والأقسام في جميع جامعات الجنوب تعاني من هذه المشكلة حتى اليوم (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) .

(٣) هذا ما عرفته وعاصرته ومازلت أشاهده في جامعة الملك خالد وجميع الجامعات المحلية في جنوب البلاد السعودية .

٤. لم يـأت عام (١٤١٩هـ/١٩٩٨م) إلا والمستوى المعرفي والثقـافي والعلمي العام والخاص أصبـح في مستوى جيـد ، فأصبحنا نرى أساتـذة جامعة مميزين ، وأطباء بارعين ، وكوادر أخرى إعلامية ، أو من له إسهامات واضحة وملموسة في الخطابـة ، والشعـر والنـثر ، أو مـن يؤلـف الروايات ، والقصـص ، أو من يؤلـف البحوث والدراسات والكتب في مجـالات مختلفة[١] . وإذا زرت المدارس النظاميـة ، والإدارات الحكومية ومكاتب التربية والتعليم وغيرها ، فإنك ترى العشـرات ممن تخرجـوا في كليات حاضـرة أبها ، وصار لهم شـأن اجتماعي ومعرفي وثقـافي كبير في أماكنهم ومنهم من تدرج في الوظائف الحكومية حتى وصلـوا إلى مراتب الوزراء ، والقضـاء ، ومديرو ووكلاء جامعات ، وأعضاء في مجلس الشورى ، أو مناصب عسكرية عالية .

٥. كانـت كليـات التعليم الجامعـي في أبها هي القاعـدة الرئيسية لنشـر التعليم العـام والعالي في جميع مناطق الجنوب السعودي ، ومن يحصي خريجو كليات عسـير من عـام (١٤٠٠-١٤١٩هـ/١٩٨٠-١٩٩٨م) (نسـاءً ورجالاً) فإنه يجد نسبـة كبيرة منهم حملـوا لواء التعليم العام والعـالي في مناطق جنوب المملكة مـن مكـة والطائف حتـى نجران وجـازان . ومـازال الكثير منهم حتـى اليوم (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م)هم من يعتلي هرم مؤسسات التعليم في هذه البلاد [٢]

رابعاً: نشأة جامعة الملك خالد وتطورها وأثرها الإيجابي على ما حولها .

أحمد الله أنني عاصرت وعملت في التعليم العالي في عسير منذ البداية حتى تحولت تلك الكليات الفرعية في أبها لتكون نواة جامعة الملك خالد التي وضع حجرها الأساسي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود ، ولي العهد ، عام (١٤١٩هـ/١٩٩٨م)[٣]. ومن

---

(١) من يدرس ويحصر الطلاب الذين تخرجوا في كليات ابها للنساء والرجال ، ويسعى إلى معرفة مصائرهم بعـد تخرجهـم فإنه سوف يجد أعداداً كثيرة نالوا مناصب مدنية وعسكرية عالية في الدولة . أما معظمهم فهـم مـن الطبقة المتعلمـة في المجتمع وانتشـروا في وظائف عديـدة في أنحاء البلاد ، ومنهـم من عمل في القطاعات الخاصة وبخاصة الأعمال التجارية فكانوا ناجحين في إدارة أعمالهم .

(٢) هـذا الـذي عرفته وعاصرتـه ، وأنا منذ عقدين أسعـى إلى جمع سجلات ووثائق التعليـم العالي في الجنوب السعـودي ، فوجـدت معظم وثائق الفترة (١٣٩٦-١٤١٩هـ/١٩٧٦-١٩٩٨م) ضائعة وغير موجودة ، وعندما سألـت بعض المؤسسين للتعليم الجامعي في أبها عن مصير تلك الوثائق كانت إجاباتهم بالنفي وعدم معرفة أي شيء عنها . ومن المحزن أن تاريخ هذه المؤسسات يضيع بهذه الطريقة . وأرجو من الإخوة الذين عاصروا تأسيس وتطور كليات فرعي جامعة الإمام والملك سعود ، وكلية التربية للبنات ، والمعلمين أن يدونوا مذكراتهم عن تلك الحقبة ، وإن فعلوا ذلك فقد يحفظون صفحات تاريخية مهمة يطلع عليها الأبناء والأحفاد .

(٣) عندمـا أنشئـت جامعة الملك خالد كان الملك فهد بـن عبدالعزيز هو ملك المملكة العربيـة السعودية ، وكان مريضـاً لا يقـدر على مزاولة الحكـم ، وأخوه ولي العهد الأمـير عبدالله بن عبدالعزيز هـو الحاكم الفعلي

مآثر ذلك الأمير ثم الملك الصالح أن أعلن المنظمون لحفل إعلان تأسيس الجامعة بأن يطلق عليها اسم جامعة الأمير عبدالله ، فقام الأمير من مكانه ، وكان يشاهد ويسمع ذلك الحفل الخطابي ، واتجه نحو منصة الحفل وأعلن على الملأ رفضه تسمية الجامعة باسمه ، وأمر أن يطلق عليها اسم (جامعة الملك خالد) [١].

لقد عاصرت تأسيس كليتي الشريعة واللغة العربية ، والتربية في عام (١٣٩٦-١٣٩٧هـ/١٩٧٦م) ، وشاهدت بناء وتأسيس وتطوير جامعة الملك خالد عام (١٤١٩هـ/١٩٩٨م) . ورأيت رجالاً بذلوا ما في وسعهم في تأسيس وبناء تلك الكليات المبكرة ، وهم كثيرون وأذكر منهم الدكتور مزيد إبراهيم المزيد ، والأساتذة : عبدالله المصلح ، وفهيد عبيد السبيعي ، ومحمد الأحمد ، وعامر الألمعي ، وعلي الحازمي، ويحيى فائع ، ومحمد بن يحيى آل مزهر، وعبدالوهاب بابعير ، وعلي الجنوبي ، وعلي المصوري وغيرهم ، وجميعهم سعوديون ، ومن الدكاترة الوافدين إياد نادر (عراقي الجنسية) وعبدالكريم ناشر (يمني الجنسية) ، وكاظم الخليلي (عراقي الجنسية) ، وسيد يونس (مصري الجنسية) ، ومحمد سعيد الأمين (سوداني الجنسية) ، ورأيت أساتذة آخرين كثيرين في كلية التربية ، فرع جامعة الملك سعود ، وفي كلية الشريعة واللغة العربية، وقد نسيت أسماءهم وجنسياتهم لكنهم كانوا يعملون ليلاً ونهاراً في بناء وتأسيس تلك الكليات إدارياً ، وتربوياً وتعليمياً [٢].

وعند نشأة وتأسيس جامعة الملك خالد كان هناك أيضاً رجال ماجدون عملوا بجد وإخلاص على جمع تلك الكليات وإعادة هيكلة أقسامها ، وإنشاء كليات وعمادات، وإدارات وأقسام جديدة تحت مظلة جامعة موحدة هي (جامعة الملك خالد) . وكان مدير الجامعة الأول الأستاذ الدكتور عبدالله بن محمد الراشد الذي قاد سفينة الجامعة ، وأدارها بنجاح واقتدار ، وبقي مديراً لها حوالي أربعة عشر عاماً (١٤١٩-١٤٣٣هـ/١٩٩٨-٢٠١٢م) ، ولم أكن خلال هذه السنوات من فريقه المقربين ، لأمور لا مجال لذكرها في هذه الورقات ، لكن كان يعمل معه الكثير من الأكاديميين

للبلاد ، فهو الذي يزور مناطق المملكة ويدفع عجلة التنمية في كل مكان ، وكان تأسيس وإعلان بدء الجامعة على يده عندما زار عسير عام (١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

(١) جرى حفل تدشين الإعلان والتأسيس في (القرعاء) ، في عام (١٤١٩هـ/٢٠١٩م) ، وكنت من الحاضرين في الحفل وقت إعلان اسم جامعة الملك خالد ، وكانت فرحة عارمة عند جميع مواطني المناطق الجنوبية ، وتصرف الأمير عبدالله بإطلاق اسم الملك خالد على هذه الجامعة يعد وفاءً ولفتة رائعة من هذا الأمير المبارك (عبدالله بن عبدالعزيز) إلى ذلك الملك الصالح (خالد بن عبدالعزيز) (رحمهما الله) .

(٢) آمل من الذين يطلعون على هذه السطور ولديهم علم ومعرفة عن تلك الحقبة أن يوافوني بما لديهم حتى أنشره مع هذه المعلومات في الطبعة الثانية ، أو أنشره في مكان آخر حتى تعرف الأجيال القادمة أولئك الرجال الذين بذلوا جهوداً كبيرة وموفقة في بناء وتطوير تلك الصروح العلمية .

والإداريين الذين بذلوا ما في وسعهم لبناء هذا الصرح العملاق ، ويصعب أن آتي على أسمائهم جميعاً في هذه السطور لكنني أذكر منهم الدكاترة : إسماعيل البشري ، ومحمد بن يحيى الشهري ، ومحمد بن علي آل هيازع ، ومسفر الخثعمي ، وعائض الشهري ، ومحمد عقيل ، وعبدالله أبو عشي ، وسعيد أبو عشي ، وعلي الكاملي ، ومحمد يحيى آل مزهر ، وعلي عبدالله موسى ، وموسى فقيهي ، وعامر الشهراني ، وعلي الشعبي ، وسعيد رفاع ، ومرعي القحطاني ، ومحمد ربيع ، ومحمد الدويش ، وعبدالله باصهي[١] . أما الإداريون فهم أيضاً كثيرون ، ومنهم الأساتذة : عبدالرحمن بن حموض، وسعد العواد ، وعبدالله علي العمري ، ومطهر جعبور ، وعلي بن محمد ابن دحمان ، وعبدالله بن عتيق ، وحسن الأسمري ، ومحمد سعيد آل عائض ، وعلي سعد العمري ، وغيرهم[٢] .

كنت أشاهد الأكاديميين والإداريين والفنيين يعملون بشكل مستمر في بناء وهيكلة الجامعة من مكتب معالي المدير ووكالات الجامعة إلى أصغر الإدارات والأقسام ، ولم أكن أدرك تلك الجهود الجبارة التي يبذلونها حتى وإن كنت معاصراً وعاملاً في الجامعة آنذاك ، وفي شهر ذي القعدة من عام (١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م) تم استدعائي من معالي مدير الجامعة الأستاذ الدكتور فالح بن رجاء الله السُلمي ، ووكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي الأستاذ الدكتور سعد بن عبدالرحمن العمري وطلبا مني أن أعكف على إصدار كتاب توثيقي عن جامعة الملك خالد ، وسهلا لي الأمور للاطلاع على وثائق الجامعة وأرشيفها ، وقضيت حتى الآن أكثر من شهرين وأنا أدرس وأطلع على القرارات والسجلات والوثائق الخاصة بالجامعة، ومما توصلت إليه وأنا أكتب هذه السطور ، ومازلت في مرحلة البحث والجمع لمادة هذا الكتاب المنتظر، أنني خرجت بالعديد من الخلاصات والنتائج التي قرأتها واطلعت عليها في وثائق الجامعة ، وأذكر أهمها في البنود التالية :

١. أدركت من خلال وثائق الجامعة الإبداع والقدرة الفائقة لمدير الجامعة الأستاذ الدكتور عبدالله الراشد ، فلقد اطلعت على مئات القرارات والتوجيهات التي تنم على خبرته الإدارية والمالية الجيدة ، وسلامة توجهه وعدالته وإنصافه . وقد حاولت أن أقرأ كثيراً من خطاباته وتوجيهاته فوجدته كان حريصاً على بناء

(١) أعتذر لمن لم أتذكر اسمه لكن الأساتذة الذين عملوا في بناء وتأسيس جامعة الملك خالد كثيرون ويستحقون أن يفرد لهم دراسة علمية مستقلة .

(٢) كان الموظفون في الإدارة والأنشطة واللجان والخدمات كثيرين ويصعب حصرهم ويستحقون دراسات أعمق وأطول .

جامعة متميزة في هيكلها ، وقراراتها واستقلالها ، وتوجهها . كما لمست براعة وكلاء الجامعة وكبار الموظفين ، وكان يقابلهم أحياناً بعض المشاكل في اتخاذ قرار ، أو إرسال توجيه معين ، لكن عند عودتهم إلى مدير الجامعة ذي الخبرة والدراية الإدارية الجيدة فإنه يوجه بما يراه في مصلحة الجامعة وبنائها. ومن يتوقف ويطلع على الطرق والقرارات والوسائل التي استخدمها الدكتور الراشد أثناء التأسيس والتطوير فإن ذلك يحتاج إلى عشرات الصفحات ، وسوف يخرج الباحث بالعديد من التجارب والدروس المفيدة والجيدة[١].

٢. استمر القائمون على جامعة الملك خالد في التأسيس والتطوير (١٤١٩-١٤٢٦هـ/ ١٩٩٨ - ٢٠٠٥م) فأنشأوا كليات وعمادة جديدة ، وأعادوا هيكلة كليات وأقسام أخرى ، واستحدثوا عدداً من الإدارات والوحدات والأقسام الإدارية والمالية . ولم يكن إشراف الجامعة فقط على هذه المؤسسات التعليمية في عسير ، وإنما كان لها إشراف ومتابعة على كليات المجتمع في جازان ونجران[٢].

٣. امتدت آثار جامعة الملك خالد الإيجابية فأنشئت بعض الكليات في محافظات عسير ، وأشرفت على افتتاح عدد من الكليات في منطقة نجران ، وسعت جاهدة إلى تطوير الكليات المتنوعة في تخصصاتها في كل من نجران وبيشة، وذلك مما أهل تلك الكليات إلى أن تتحول إلى جامعتين مستقلتين في بيشة ونجران . ومازالت الجامعة تسعى جاهدة في تطوير كليات تهامة التي سوف تكون جامعة مستقلة في المستقبل [٣].

٤. من آثار جامعة الملك خالد الإيجابية أن اجتهدت في ضم كليات المعلمين، والبنات، والكليات الصحية، وقد استغرقت وقتاً كبيراً في إعادة هيكلتها ، ودمج الأقسام والكليات المتناظرة مع أمثالها في الجامعة ، كما أنشئت الكثير من الكليات وأقسام في عموم منطقة عسير ، ومن يتجول اليوم في أنحاء بلاد عسير فإنه يجد بصمات هذه الجامعة واضحة ، وصارت معظم محافظات

---

(١) أقول هذا الكلام ليس للمدح أو المجاملة ، وإنما أرصد الحقيقة ، وذلك من خلال ما قرأته واطلعت عليه في وثائق الجامعة . وأرجو أن أتمكن في المستقبل من نشر الكثير من هذه الوثائق التي تؤرخ لتأسيس وتطور التعليم العالي في منطقة عسير وبخاصة جامعة الملك خالد . وإذا استطعت تحقيق ذلك فإن الباحثين والمؤرخين قد يصدرون من خلالها بحوث علمية موثقة.

(٢) جامعة الملك خالد هي الأم التي وحدت كليات التعليم العالي في عسير ، ثم امتدت آثارها وجهودها الإيجابية إلى مناطق نجران وجازان .

(٣) موضوع إشراف جامعة الملك خالد على تطوير الكليات الجامعية في جازان ثم نجران وبيشة ومحايل موضوع جدير يستحق أن يدرس في عدد من البحوث والرسائل العلمية .

عسير لا تخلو من كلية أو كليات تتبع لجامعة الملك خالد ، أو كان للجامعة دور رئيسي في تطويرها كما جرى مع الكليات التابعة اليوم لجامعة بيشة في كل من محافظات بيشة ، وتثليث ، وبلقرن ، والنماص .

٥. كانت جامعة الملك خالد هي المصدر الرئيسي للكوادر البشرية التي قامت على أكتافهم التوسع في فتح كليات وأقسام في منطقة عسير . كما أن الكثير من الكوادر القيادية من مديري أو وكلاء جامعة ، أو عمداء أو رؤساء أقسام ، أو أعضاء هيئة التدريس وموظفين وإداريين في جامعات نجران ، وجازان ، وبيشة، والباحة بدأوا حياتهم التعليمية الجامعية في جامعة الملك خالد ، أو في كليات فرعي جامعتي الإمام والملك سعود في أبها . كما أن هذه المؤسسة (جامعة الملك خالد) بنت وشجعت الكثير من أعضائها ، حتى صاروا أعضاء في مجلس الشورى ، أو مديرين ووكلاء لعدد من الجامعات[١] .

٦. من يفحص مرتبة وجهود جامعة الملك خالد المحلية والإقليمية والعالمية ، فهي من الجامعات الجيدة في مستواها العلمي ، وخدماتها التعليمية والبحثية . ولها صلات وشراكات مع مؤسسات أكاديمية وثقافية وإدارية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها . كما أن بعض أقسامها وكلياتها ذات مستوى جيد لما يصدر عنها وعن أعضائها من نتاج علمي ومعرفي جيد .

٧. أثمرت تلك الكليات الأربع المحدودة (١٣٩٦-١٤١٩هـ/١٩٧٦-١٩٩٨م) في نشأة جامعة كبيرة خرج من خلالها جامعات أخرى عديدة في جازان ، ونجران ، وبيشة . ومن يقارن وضع هذه الجامعات اليوم مع تلك الكليات خلال العقدين الأولين من هذا القرن فليس هناك مجال للمقارنة لا في الجودة ، أو النوعية ، أو العدد أو الإمكانات أو التأثير المحلي ، أو الإقليمي ، أو العالمي .

---

(١) أصبح عدد من أساتذة جامعة الملك خالد أعضاء وعضوات في مجلس الشورى . ومعظم وكلاء جامعات جازان ، ونجران ، وبيشة ، والباحة من أساتذة جامعة الملك خالد ، ناهيك عن أعضاء هيئة التدريس فالكثير منهم انتقلوا من جامعة الملك خالد إلى تلك الجامعات ، وجامعات أخرى في مناطق الشرقية ، والغربية ، والوسطى . ومن أساتذة جامعة الملك خالد ستة أعضاء وصلوا إلى منصب مدير جامعة ، مثل : (١) الدكتور إسماعيل البشري (جامعة الشارقة ، ثم جامعة الجوف) . (٢) الدكتور محمد علي آل هيازع (جامعة جازان ، وزيراً للصحة ، مدير جامعة الفيصل الأهلية حالياً) . (٣) الدكتور محمد يحيى الشهري (جامعة الحدود الشمالية) . (٤) الدكتور مرعي بن حسين القحطاني (جامعة جازان) . (٥) الدكتور عبدالله بن يحيى الحسين (جامعة الباحة) . (٦) الدكتور محمد بن عبدالله آل ناجي (جامعة حفر الباطن) .

خامساً : خلاصة القول :

الذي رصدته في هذه الصفحات ومضات سريعة عن التعليم العالي في عسير وما حولها ، وذلك لما عرفته وشاهدته خلال الخمس وأربعين عاماً الماضية . وفي هذا الزمن تطور التعليم الجامعي في عسير وجنوب المملكة العربية السعودية ، فعندما كان عدد طلاب الجامعة في السنوات الأربع الأولى (١٣٩٦-١٤٠٠هـ/١٩٧٦-١٩٨٠م) لا يتجاوز العشرات، وأصبحوا اليوم يقدرون بعشرات الألاف في جامعات تهامة والسراة من مكة والطائف إلى جازان ونجران . والتعليم العالي في هذه البلاد جلب إلى الأرض والسكان الكثير من الفوائد العلمية والثقافية ، والإدارية والمالية ، والاجتماعية والاقتصادية ، وجوانب تنموية أخرى عديدة .وأدون في نهاية هذا المحور عدد من النتائج والتوصيات ، أذكرها في النقاط الآتية :

١. جامعة الملك خالد وغيرها من جامعات الجنوب السعودي تتحمل المسؤولية الكبرى في خدمة مجتمعات تهامة والسراة ثقافياً وتربوياً وتوعوياً وبحثياً . وهذه البلاد ذات تراث وعراقة حضارية وهي جديرة بالتوثيق والاهتمام .

٢. يجب على هذه الجامعات أن تستقطب الأساتذة الجيدين من الشباب والشابات الذين نالوا درجاتهم العليا في جامعات عربية وأجنبية جيدة ، وأن لا تستمر في إيجاد العراقيل أمام هذه الكوادر البشرية الواعدة التي ترغب في خدمة بلادها ودينها وأهلها.

٣. إن الجامعات السعودية الجنوبية وفي مقدمتها جامعة الملك خالد تستحق أن يوثق تاريخها من مصادرها الأولية الممثلة في الوثائق والسجلات الرسمية . كما أنه يجب على هذه الجامعات أن تسعى إلى أرشفة وثائقها ورقياً وإلكترونياً حتى لا تأتي عوادي الزمن على هذا الموروث فيضيع ويندثر . وأقول هذه التوصية لما رأيت من إهمال في حفظ الوثائق وأراشيف المؤسسات الإدارية وفي مقدمتها إدارة التعليم في مناطق جازان، ونجران، وعسير ، والباحة . كما شاهدت ذلك في مؤسسات التعليم العالي في عسير مثل كليات التربية ، والطب ، والشريعة وأصول الدين ، واللغة العربية في أبها (١٣٩٦-١٤١٩هـ/١٩٧٦-١٩٩٨م)، وكليات البنات في أبها من عام (١٤٠٠-١٤٣٠هـ/١٩٨٠-٢٠١٠م) [١].

---

(١) قضيت وقتاً كبيراً أبحث عن وثائق وسجلات كليات البنات في منطقة عسير من عام (١٤٠٠-١٤٢٨هـ/١٩٨٠-٢٠٠٧م) فلم أجد من يساعدني في هذا الباب ، وأخبرني بعض المسؤولين والمسؤولات في تعليم البنات في عسير وذكروا أنها في مستودعات عديدة من إدارات التعليم أو بعض الكليات وذهبت إلى بعض هذه الأمكنة فلم أجد ما أتطلع إليه ، أرجو من الجامعات التي ضمت كليات البنات في مناطق عسير وما حولها أن تبحث عن ذلك الموروث وتحفظه وتوثقه.